القافلة تسير

قد لعبوها جيداً..!!!

عبدالله إبراهيم الكعيد

■ المثل المحلي يقول (نصف الحرب دهوَلَهْ) وهذا فيما يبدو كانت الاستراتيجية المعروفة منذ القدم لدينا لكننا ويا للأسف لم نأخذ بها في أي مرحلة من مراحل تاريخنا العربي بل العكس هو ما حدث ويحدث حيث العدو دائماً هو المبادر بهذه الاستراتيجية ونحن الضحايا فيستغل الأعداء وسائل الإعلام أمثل استغلال لتحطيم معنويات الجيوش والشعوب العربية في الوقت الذي يخفق فيه الإعلام العربي ليس في اختراق معنويات العدو فحسب بل يفشل حتى في رفع معنويات الشعوب وإيمانهم بعدالة قضيتهم وعرضها للعالم بأسلوب مقنع..!!!

سأضرب لكم مثلاً من الحاضر حيث قامت (واشنطن) بزيادة ساعات بث إذاعة (أوروبا الحرة) وهي الإذاعة التي تمولها الولايات المتحدة الأمريكية لنشر ما تسميه (الديمقراطية في العالم) في جهودها لكسب الحرب الإعلامية في أفغانستان وقد وافق مجلس النواب الأمريكي على خطة انفاق تقدر بأكثر من (٢٧) مليون دولار والتي تسمح (أي الخطة) ببث الأخبار والمعلومات الثقافية بلغات محلية لمدة (١٢) ساعة يومياً حيث يؤكد أحد النواب المؤيدين لمشروع القانون المطروح أن بثاً إذاعياً كهذا قد يكون حاسماً في تحول الأفغان ضد طالبان..!!! وهذا ما تم بالفعل حيث يستمع معظم الأفغان الآن لتلك الإذاعات الموجهة ويتحلقون حول أجهزة المذياع يستمتعون بما تبثه من برامج تناسب أذواقهم وتنقل لهم الأخبار أولاً بأول وغالباً ما تكون تلك الأخبار تناسب توجهات السياسة الأمريكية وتخدم مصالحها في المنطقة..!!!

في الجانب العربي وبعيداً عن الشأن الأفغاني لم يستطع العرب وعلى مدى أكثر من خمسة عقود وهي عمر توتر الصراع بين أصحاب الحق (العرب) والمغتصبين الغزاة (الصهاينة) في إقناع العالم إعلامياً بعدالة قضيتهم لماذا..؟؟

لأنهم وبكل بساطة لم يجيدوا اللعبة كما أجادها غيرهم من الأمم والشعوب ولتنظروا كيف تتطاحن الإذاعات ووسائل الإعلام العربية مع بعضها البعض وكيف تكيل الاتهامات فيما بينها بالعمالة والخيانة والرجعية في الوقت الذي وجد فيه العدو الساحة متاحة ليعرض رؤيته بكل ذكاء وهدوء بل ويستميل وسائل الإعلام العالمية للوقوف بجانبه وتأييد موقفه ونحن ما زلنا نرفع العقيرة بلغة لا يفهمها إلا من يتحدث بلغتنا فها هي المحطات الفضائية العربية على سبيل المثال تستضيف في برامجها الحوارية المثقفين والمفكرين والساسة من الأمريكان والدول الغربية الأخرى ثم تقوم بترجمة ما يقولونه للغة العربية مع أن الأولى أن يكون الخطاب بلغات العالم غير العربية لأننا لسنا بحاجة إلى من يقنعنا كعرب بعدالة ووضوح قضيتنا بل نحن في حاجة إلى أن نشرح للعالم غير العربي الموقف بكل منطق معقول وصدق مقبول حتى نستميله لجانبنا ولن يتم ذلك إلا باستخدام وسائل الاتصال الحديثة وبطرح ذكي يتناسب والمتلقي الأجنبي ويستهويه..!!!

قد قال أجدادنا في زمانهم أن (نصف الحرب دهوله) وقد أثبت الحاضر أن ثلاثة أرباع الحرب الناجحة في الوقت الحالي يكمن في تكوين رأي عام عالمي يؤيد الموقف ويمهد للنصر قبل وقوع المعركة وقد مورست علينا كعرب جميع تلك الوسائل ومع هذا لا زلنا نعتقد أن الحرب بالرمح والسيف أشد وأمضى من بقية الوسائل وما زالوا ينتصرون ونخسر نحن فمتى نفيق يا عرب..؟؟

aalkeaid@hotmail.com

لهذه الأسباب نجحت زيارة سمو ولي العهد للولايات المتحدة الأمريكية

عبدالله راشد السنيدي

■ قام صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني بزيارته التاريخية المرتقبة للولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة من ٢٣ ابريل حتى ٢٩ ابريل ٢٠٠٢م.

وقد بقي العالم العربي والإسلامي بل العالم أجمع في حالة انتظار وهو يتساءل هل تنجح الزيارة التي كان هدفها مناقشة الوضع في الشرق الأوسط ورفع الظلم والاعتداء عن الشعب الفلسطيني ذلك أن زيارة سموه جاءت في ظل الظروف السائدة الناجمة عن تشدد الحكومة الإسرائيلية وغزوها لأراضي السلطة الفلسطينية والموقف الأمريكي المساند لها وكانت النتيجة أن الزيارة بحمد الله عز وجل قد نجحت وظهرت نتائجها للعالم ومن ذلك فك الحصار عن الرئيس الفلسطيني وانسحاب إسرائيل من أراضي السلطة وعدم إقدام إسرائيل على اجتياح قطاع غزة وتمسك الولايات المتحدة بضرورة قيام الدولة الفلسطينية، رغم المحاولات والمواقف الإسرائيلية والتي كان آخرها قرار حزب الليكود بعدم الموافقة على إقامة الدولة الفلسطينية وقد كان نجاح الزيارة يرجع إلى العديد من المقومات والأسباب ومنها:

× مكانة المملكة المرموقة في العالم العربي والإسلامي بل العالم أجمع بما فيه دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وسبب هذه المكانة التي تحتلها بلادنا يعود لموقع المملكة الاستراتيجي ومساحتها ومقدساتها وثرواتها وشعبها الطيب المسالم وحكومتها المتزنة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله.

× العلاقة التاريخية الاستراتيجية التي تربط المملكة بالولايات المتحدة منذ ما يزيد عن ستين عاماً والتي وضع أساسها المغفور له بإذن الله تعالى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والرئيس الأمريكي الراحل روزفلت، والتي بنيت على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة والمحافظة على السلم والأمن العالميين باعتبار أن المملكة والولايات المتحدة من الدول الأوائل المؤسسة لمنظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥م.

× شخصية سمو ولي العهد - حفظه الله - التي تحظى بتقدير واحترام داخل البلاد وخارجها بسبب الحكمة التي يتصف بها والصدق في القول والإخلاص في العمل والإيمان العميق، والإصرار على الحق والمقدرة على الإقناع، ومما يدل على ذلك أن الولايات المتحدة ممثلة في رئيسها السيد/ جورج دبليو بوش قد أعد له استقبالاً خاصاً فسموه الكريم من القادة القلائل جداً الذين يستقبلهم الرئيس الأمريكي في مزرعته الخاصة في ولاية تكساس.

× توفر القناعة لدى سمو ولي العهد وفقه الله من توفر أسباب ودواعي نجاح الزيارة إذ لو لم يتأكد سموه من ذلك لما قام بهذه الزيارة وهو ما صرح به سموه للصحافة.

× أسلوب الحكمة الذي أدار به سمو ولي العهد محادثاته مع الجانب الأمريكي والذي كان بعيداً عن لغة التهديد والابتزاز بدليل أن الجانب الأمريكي لم يتطرق إلى أحداث سبتمبر ووجود بعض المتهمين السعوديين فيه وذلك لتأكد الولايات المتحدة من سياسة المملكة المناهضة للإرهاب والمحبة للأمن والسلام واحترام حرية واختيار الشعوب.

× قناعة الولايات المتحدة بأن سمو ولي العهد جاء للولايات المتحدة ليس ممثلاً لبلاده فقط بل للعالم العربي كافة بدليل أن الدول العربية قد تبنت مبادرته لإحلال السلام بين العرب وإسرائيل وهذا يعني للولايات أن نجاح الزيارة لا يخص المملكة والولايات المتحدة فقط بل يشمل العالم العربي مما يعني تحسن وتطور العلاقات بين الولايات المتحدة والدول العربية، وهو الأمر الذي يساهم في إقرار السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، ويكفل رعاية المصالح الأمريكية والعربية المشتركة.

وفق الله الملك المفدى وسمو ولي العهد الأمين ورجالهما المخلصين لما فيه خير بلادنا وأمتنا.

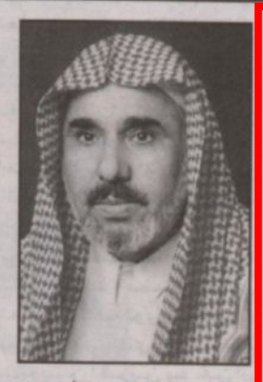

طاقة كل مجتمع محكومة بالثقافة الموروثة

ابراهيم البليهي

لكل مجتمع خريطة ذهنية يرثها عن أسلافه وهي تنتظم عقائده وأنماط تفكيره وتصوراته وقيمه وتقاليده وعاداته وتتحكم في سلوك أفراده

■ هذا الإنسان كل أمره عجب انه كائن إشكالي محيّر انه مخلوق متنافر التكوين يجمع أشد المتناقضات في ذاته وأفكاره وأفعاله فهو في بعض أمره مذهل في ذكائه ومهارته وهو في بعض آخر مُحبَطٌ في غبائه وكلاله يكون حكيماً ناضجاً في بعض مواقفه ويكون طائشاً وفجاً في مواقف أخرى انه أحياناً يتغلب على أكبر العوائق لكنه في أحيان أخرى يبدو عاجزاً عن التصرف أمام أبسط المشكلات انه مدهش في اكتشاف طاقة الأشياء ومبدع في تسخير هذه الطاقة لكن قدراته المدهشة تختفي إذا تعلق الأمر بتقييم ذاته أو عند تعامله مع الثقافة التي نشأ عليها انه يبقى كليلاً ومسلوب الإرادة أمام برمجة تفكيره واختطاف عقله واستبقائه أسيراً لما نشأ عليه فقد يكون من أكبر علماء الفيزياء لكنه حين يخرج عن نطاق تخصصه العلمي يصير بليداً ويقف بخشوع أمام تمثال بوذا أو غيره من الأصنام يأله من كائن متناقض ومحيّر إنه مذهل في بصيرته وثاقب فكره ولكنه محيّر في عماه وكلال عقله انه رغم عظيم ذكائه يتبرمج بثقافة مجتمعه في أهم مسؤوليات وجوده فيصير مقلداً وامتثالياً وكأنه مصاب بالتنويم فيتقبل أغرب التصورات وينقاد لأحط الخرافات وتتوارى قدرات عقله الخارقة التي أبدعت أعظم الابتكارات وليس نصيب المجتمع بأفضل من نصيب الفرد فالمجتمع أيضاً مأسور بثقافة ورثها عن أسلافه دون ان يكون له أي دور في تكوين هذه الثقافة والمعضل في الأمر ان الفرد والمجتمع كليهما يبقى مغتبطاً بهذا الأسر وغير مدرك لحقيقة البرمجة الثقافية القامعة التي شكلت عقله ووجدانه دون اختياره فكما أن الإنسان لا يختار شكله وملامح وجهه فإنه أيضاً لم يختر الثقافة التي شكلت عقله وكذلك الوضع بالنسبة للمجتمع فالتناسل الثقافي شبيه تقريبا بالتناسل البيولوجي...

إن لكل مجتمع خريطة ذهنية يرثها عن أسلافه وهي تنتظم عقائده وأنماط تفكيره وتصوراته وقيمه وتقاليده وعاداته وتتحكم في سلوك أفراده لذلك تستمر الأجيال في كل المجتمعات تتوارث خرائطها الذهنية فتتشكل بها فكراً وأخلاقاً وسلوكاً وأوضاعاً...

إن كل مجتمع محكوم بنمط التفكير الذي يتركه له أسلافه وبمنظومة القيم التي تحكمت بأولئك الأسلاف أنفسهم كما تتحكم بكل الأجيال المتعاقبة وكل مجتمع ليس مختارا لثقافته التي هي خريطته الذهنية وإنما هو يرثها مثلما يرث أفراده ملامح وجوههم...

إن الخريطة الثقافية التي تتوارثها الأجيال في كل مجتمع هي الرحم الذي تنمو فيه عقول الأفراد فالخريطة الثقافية العامة تشبه المخطط العام للمدينة الذي يشتمل على كل الخطوط الرئيسة ويرسم اتجاهات النمو ويحدد استعمالات المواقع ثم تأتي المخططات الجزئية التفصيلية لتوضح التفاصيل فالثقافة التي ينمو بها عقل المجتمع هي قوالب فكره وحوافز اهتماماته وبواعث أخلاقه ومناسج عواطفه ثم يكون للأفراد داخل الخريطة العامة خرائطهم الخاصة التي تنظم تفكيرهم واهتماماتهم وأخلاقهم وعواطفهم وتكون هذه الخرائط الجزئية منسجمة مع الخريطة العامة للمجتمع ومستمدة منها فاهتمامات الناس في كل مجتمع تدور حول مجموعة من المسائل لا تكاد تتجاوزها وكلهم ينظرون إليها ضمن منظومة القيم التي تحدد درجات ومراتب أهمية الأشياء...

وليس لأي مجتمع خيار في نوع ثقافته ومنظومة قيمه كما ان الأفراد لا يختارون مكان ولادتهم الذي تتحدد به لغتهم ونمط تفكيرهم ومنظومة القيم التي تتحكم في سلوكهم فهوية الفرد التي هي ذاته مصوغة قبل نضج وعيه ولكنه رغم كل ذلك يتوهم انه هو الذي رسم لنفسه خريطة ذهنه ووجدانه وليس المجتمع سوى مجموعة من الأفراد قُدّر ان يولدوا هنا أو هناك ولكن الفرق بين الهنا والهناك تترتب عليه نتائج مصيرية فإذا ولد الفرد باليابان نشأ منضبطاً منتجاً ماهراً وإذا ولد بافريقيا نشأ بفكر مغاير وسلوك مختلف ولو تبادلا مكان الولادة والنشأة لتبادلا أيضا طريقة التفكير ونمط السلوك واسلوب الأداء فليس الإنسان إلا ما تعلّم...

إن كل فرد في المجتمع مصوغ بالثقافة التي نشأ عليها وهو حين يدافع عن خريطته الذهنية المصوغة دون مشاركته فإنما يدافع عن ذاته وهو لا يدرك بأنه يدافع عن خريطة لم يسهم في تكوينها وإنما تشبعت بها نفسه ببطء شديد بغير مشاركة واعية منه فاكتسبت هذا الرسوخ العنيد...

ومع ان كل جيل في أي مجتمع يأتي إلى الحياة ليصاغ بثقافة قائمة وراسخة قبل وجود الجيل نفسه فإنه مع ذلك يفتخر بخريطته الذهنية ويعتقد بأنه هو الذي اختارها وكوّنها كما يعتقد انها هي الخريطة الصحيحة الكاملة اما خرائط المجتمعات الأخرى فهي الضلال بجميع متاهاته وهي الحمق بكل مساوئه...

ولأن ثقافة المجتمع هي التي تشكل عقله وتصوغ خريطة ذهنه وتحدد اهتماماته وتبلور رؤاه فإنه يبقى مأسوراً بها فلا يستطيع أن يرى مزايا الثقافات الأخرى بل يضخم عيوبها ويكون من السهل عليه أن يتعرّف على اخطائها وان يلم بنقائصها وان يكتشف جوانب الحمق فيها بل وان يحيل الحسنات إلى السيئات ويقلب الفضائل إلى رذائل...

لكن المجتمع ذاته يبقى في عمى مطلق عن رؤية عيوبه أو إبصار رذائله لأن خريطته الذهنية تحجب عنه عيوب الذات كما تحجب عنه مزايا خرائط المجتمعات الأخرى وبذلك تبقى هذه الخريطة بعيدة عن رقابة العقل لأنها تحتمي بالإلفة وتتحصن بالوجدان فتصبح في منأى عن التحليل والمراجعة وتكتسب بذلك حصانة منيعة فلا يحاول أي مجتمع أن يخرج عن التوجهات التي ترسمها خريطته الذهنية المتوارثة مهما كان فيها من أخطاء وضلالات ومن النادر ان يكتشف المجتمع انه كان يسير وفق خريطة مضللة أو ان يقتنع أن خريطته بحاجة إلى تصحيحات هامة أو جوهرية...

ومهمة المفكرين والقادة العمليين والمبتكرين وغيرهم من النابهين: هي تكوين اتجاهات جديدة في الفكر والعمل وإثارة اهتمام الناس بهذه الاتجاهات الجديدة حتى ينقلوا إليها نشاطهم فتتغير بذلك خرائطهم الذهنية وتتغير تبعاً لذلك مجالات عملهم وأنماط معيشتهم فالمجتمعات البشرية تبقى مستمسكة بما ورثته من عادات وما اعتادته من اهتمامات وما درجت عليه من اتجاهات...

ولا تستطيع المؤثرات ان تحمل المجتمعات على إعادة النظر في خرائطها الذهنية المتوارثة ولا في اتجاهاتها الفكرية المستقرة ولا استبدال عاداتها الراسخة بعادات جديدة إلا إذا كانت المؤثرات الطارئة شديدة الإبهار بالغة القوة.

فالمجتمعات لا تلتفت إلى المؤثرات الجديدة ولا تستجيب لها إلا إذ كانت مؤثرات قوية جارفة وهذا الرفض المبدئي ليس مقصوراً فقط على مجال الأفكار التي يصعب على العامة فهمها وإنما حتى في مجال الأعمال والأدوات والوسائل يتمنّع الناس عن قبول الجديد منها إلا بعد أن يفرض نفسه لذلك فإن اقناع الناس في بداية الثورة الصناعية بإمكانية الانتقال من الطاقة العضلية الضعيفة إلى الطاقة الميكانيكية المذهلة: قد تطلب تجسيداً يراه الجميع ويلمسون نتائجه الرائعة التي لم تكن تخطر لهم على بال وهذا التمنّع حتى عن المبتكرات العملية هو من أقوى الأدلة على استحكام البرمجة الثقافية وصعوبة تهيئتها لقبول الجديد مهما كان نفعه شديد الوضوح...

إن التخلي عن المألوف يشبه في عسره محاولة اقتلاع جبل من مكانه حتى ولو كان هذا المألوف هو مصدر الشقاء وهذا تؤكده وقائع لا تحصى من أحداث التاريخ الحضاري فلم يحصل أي انتقال من مرحلة حضارية دنيا إلى مرحلة حضارية أعلى إلا كان مصحوباً بمخاضات عسيرة متصلة وتشهد لذلك قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام مع أقوامهم...

فالمجتمعات دائماً لا تتقبل الخروج من دوائر ثقافتها الموروثة لتبصر الآفاق الرحبة المفتوحة إلا بعد عسر شديد لذلك يواجه المفكرون والمصلحون صعوبات كبرى حين يحاولون زحزحة المجتمع عما اعتاد عليه من الأفكار والعادات والأوضاع فهذا الفيلسوف الشهير جان جاك روسو الذي عاش في الفترة ما بين ١٧١٢م - ١٧٧٨م، كان الرعاع في سويسرا يرجمونه بالحجارة إذا مشى في الطريق بل لقد هاجموا منزله ليلاً يريدون الانتقام منه لأن بعض المذعورين من آرائه كانوا يحرضون العامة ضده فيشغبون عليه ويضايقونه حتى اضطر إلى هجر بلده والاختفاء عن أنظار الغوغاء...

وليس حالة روسو سوى حالة واحدة من حالات كثيرة سجلها التاريخ عند كل المجتمعات وفي الكثير من مراحل التطور الحضاري وهي حالات تبرهن على كل ان خطوة حضارية متقدمة كانت مسبوقة بمحاولات شرسة وفظيعة من الوأد والاجهاض...

بل إن مقاومة الجديد لم تقتصر على ما يتعلق بالأفكار والأمور المعنوية وإنما حتى المخترعون واجهوا مناهضات ضارية فالمؤرخون يذكرون ان المخترع الانجليزي جيمس هارجريفز وهو غزّال توصل صدفه عام ١٧٦٤م إلى طريقة ميكانيكية للغزل غير ان هذه الصدفة فتحت ذهنه وأيقظت موهبته الابتكارية الكامنة فراح يطوّر الفكرة التي هبطت عليه فجأة حين قلبت طفلته عجلة مغزله فوقعت العجلة وأصبح عمود الإدارة في وضع رأسي بدلاً من الوضع الأفقي المعتاد ومع ذلك استمرت العجلة في الدوران فلمعت في ذهنه فكرة إمكانية تكرار أعمدة الإدارة في وضع رأسي بحيث تكون متصلة اتصالا ميكانيكيا وبذلك يستطيع غزل عدد من الخيوط في وقت واحد واستمر يطوّر آلته حتى أصبحت تعمل بمائة وعشرين مغزلاً بدلاً من مغزل واحد ولما قفز انتاجه هذه القفزة الهائلة فزع الغزّالون الآخرون وهاجموا منزله وحطموا آلته التي اعتبروها بدعة تستحق التحطيم..

لقد أدرك أصحاب مشاغل الغزل اليدوي أنهم لن يستطيعوا مجاراة الغزل الميكانيكي فألهبوا غيظ العاملين عندهم بأن هذا الاختراع خطير على حياتهم وانه سوف يؤدي إلى الاستغناء عنهم وقطع مصدر رزقهم فكان في هذا التخويف ما يكفي لاستنفار مقاومة الجديد...

وكما اضطر روسو إلى النزوح عن مدينته فإن المخترع هارجريفز أيضا لم يجد مناصاً من مغادرة ستاندهيل للبحث عن مكان أقل عدوانية في نوتنجهام...

ولم تكن حالة هارجريفز حالة نادرة وإنما كل المخترعين إبان مخاضات الثورة الصناعية واجهوا مقاومات عنيدة فالمخترع الإنجليزي الشهير رتشارد أركرايت الذي يحمل لقب (أبو الثورة الصناعية) هوجمت مصانعه وحطمت مراراً لكنه كان يعاود البناء من جديد حتى اصبح الناس يدركون أهمية إنجازاته فأضطر خصومه إلى الكف عن مهاجمته...

ولكن إذا كان الناس المحايدون يحتاجون إلى وقت طويل لفهم الأفكار الجديدة وقبولها فإنهم يستطيعون بشكل أسرع إدراك النتائج الكبيرة النافعة التي تتمخض عنها المخترعات الجديدة لذلك جاءت نهضة أوروبا عبر مسارين متعاضدين: مسار الأفكار للتأثير على النخبة وعلى البنية الذهنية ومسار المخترعات للتأثير على العامة وكلا المؤثرين كان قوياً ومزلزلاً...

فالمؤثرات لابد ان تكون باهرة تخلب عقول الناس وتسحب الثقة مما ألفوه وتضطرهم إلى الإذعان لحقائق الحدث الجديد الباهرة وهي لا تصير كذلك إلا إذا كانت مؤثرات قوية جارفة أو كانت متجسدة وواضحة النتائج ويستطيع الناس استيعاب فوائدها دون إبطاء حتى تهز العادات القديمة الراسخة وتفتح النفوس لاستقبال عادات جديدة نافعة لذلك مثّلت المخترعات عوناً كبيراً للأفكار المجردة لأن المخترعات تأتي بصورة مجسدة يفهمها العامة بسهولة فهي تجسد الآفاق الجديدة وتكشف الإمكانات المتاحة كما انها تثير الخيال حتى عند غير المتعلمين وتستجيش الفكر بما فيها من روعة مباشرة وإدهاش ظاهر فيستجيب لها عامة الناس دون صعوبة...

ومن هنا كان تأثير المخترعين ورجال الأعمال في بداية مراحل النمو الصناعي في أوروبا وأمريكا: تأثيراً قوياً رافق موجة النهضة الفكرية وكان يتقدمها أحياناً ليفتح النفوس والأذهان لقبول أفكار التحولات الكبرى بل كان للمخترعين الدور الأول الحاسم في تغيير نمط الحضارة لأنه من السهل على الناس أن يبصروا روائع الاختراع الماثلة أمام أنظارهم لكن من الصعب عليهم أن يدركوا نتائج البحوث العلمية البحتة أو ان يقدروا قيمة الأفكار العظيمة المجردة.

لذلك فإننا حين نراجع التاريخ البشري نجد ان تأثير العلماء النظريين كان تأثيراً محدوداً جداً قياساً بتأثير المخترعين أو العمليين أو قادة الحرب والسياسة لأن الفارق بين نمط التفكير عند عامة الناس ونمط التفكير العلمي هو فارق نوعي وشاسع يجعل الهوة غير ممكنة العبور إلا إذا تم تجسيدها بواسطة العمليين...

وبسبب ذلك ظل العلماء غير قادرين على التأثير على المجتمعات خلال العصور بل كانوا غير مهتمين بهذا التأثير فكانوا يسعون للمعرفة لذاتها وليس من أجل تطبيقاتها بل ان معظمهم لم يدركوا الامكانات الهائلة التي تتيحها هذه التطبيقات حتى ظهرت موجة الاختراع في أوروبا ابتداء من القرن الرابع عشر فاحدثت هذه الاختراعات نظرة جديدة إلى الأشياء وغيّرت نظرة الإنسان إلى ذاته وأيقظته إلى الطاقات الهائلة الكامنة في نفسه ونبّهته إلى الامكانات العظيمة المخبوءة في الأشياء المحيطة به وهذه الاكتشافات التي أدت إلى كل هذه التحولات الجذرية لم تكن مفاجأة فقط لعامة الناس وإنما كانت أيضاً مفاجئة لمعظم المشتغلين بالعلم بمعناه السائد في ذلك العصر فالعلم النظري لم يقترب من ساحات العمل والانتاج إلا بعد أن أثبتت الاختراعات جدواها الكبيرة الواضحة...

فالثورة الصناعية في القرن الثامن عشر لم تتفجر على أيدي العلماء النظريين وإنما تفجرت بفعل المخترعين وقد فطن لذلك فرانسيس بيكون حين أكد ان اختراع البارود والبوصلة والطباعة كان أقوى تأثيراً على الحياة البشرية من كل المؤثرات الأخرى لأن: «.. هذه المخترعات الثلاثة أظهرت مدى ما يمكن ان تفعله المخترعات الآلية في حياة الناس..» فاكتشف بيكون بثاقب عقله ان التوسع في مجال الاختراع سوف يغيّر طبيعة الحياة البشرية وبلغ به هذه الاقتناع إلى حد انه تخيل المراكب (الطائرات) وهي تطير في الهواء والسفن وهي تغوص في البحار وتسير تحت الماء وهو الشيء الذي تحقّق فعلاً ولكن بعد أجيال من الاختراعات المتلاحقة...

ومن المعروف ان تطورات التقنية المذهلة لم تُحدث مثل هذا الأثر في أغلب مجتمعات العالم الثالث لأن التقنية لم تكن مصحوبة بنهضة فكرية كما ان هذه المجتمعات لم تشهد الولادات الطويلة للتقنيات المتلاحقة بل جاءتها مفصولة عن بيئتها الفكرية وعن تطوراتها المثيرة بعد أن اكتملت فكانت شبيهة بالغيث الذي ينزل من السماء أو البترول الذي ينبجس من الأرض فاللقاء بين المجتمعات في العالم الثالث وبين التقنيات كان لقاء الاستعمال البارد الخالي من الدهشة لذلك بقي هذا اللقاء بدون تأثير بعكس المجتمعات المزدهرة صناعياً فإن خرائطها الذهنية قد أعيد رسمها وتشكيلها أثناء نهضة الفكر وما رافقها من عمليات التطور التقني المدهش.

عندما يكون الوطن دبابة او خرافة او حقيبة!

جهاد فاضل

■ لا يمضي يوم دون ان توجه اسرائيل رسائل الى يهود العالم تدعوهم بموجبها الى ترك بلدانهم التي يقيمون فيها والعودة الى اسرائيل. فبعد الفوز الذي حققه المرشح اليميني المتطرف لوبان في الدورة الاولى من الانتخابات الرئاسية الفرنسية، دعا ارييل شارون يهود فرنسا الى حزم حقائبهم والعودة فوراً الى اسرائيل على اساس انها وطن اليهود، وعلى اساس ان اليهود لن يجدوا الامان الكامل خارجها..

واثر الانهيار الاقتصادي الشامل الذي عرفته الارجنتين قبل اشهر قليلة، دعا شارون يهود الارجنتين نفس الدعوة دون ان تلقى أذناً صاغية.

ويصعب الاحاطة بتاريخ وحجم مثل هذه الدعوات ليهود العالم العائدين اليها، فإنها لم تعرف الاستقرار الذي تحلم به. فالقلق يساور الاسرائيلي على مستقبله في منطقة تعتبره عضواً غريباً عنها قابلاً لأن تلفظه في يوم قريب او بعيد. بل ان هذه المنطقة ستلفظه حتماً اذا تحققت لها القدرة العسكرية. فهذه القدرة لن تبقى ملك اسرائيل وحدها الى الابد. وقد كان ملفتاً قول اسرائيلية من اصل روسي كانت تنتحب على مقتل ابنها في احدى المعارك الأخيرة. «هذه البلاد ليست بلادنا علينا ان نعود الى روسيا».. وكذلك قول نائبة عن حزب «مريتس» في الكنيست الاسرائيلي: «هذا الذي تفعله اسرائيل مع الفلسطينيين غير جائز خاصة وأنهم سكان البلاد الاصليون»..

ان كل اسرائيلي يعلم في قرارة نفسه ان وجوده فوق أرض فلسطين ليس ذاك الوجود الصلب الذي لا ينازعه فيه احد. فهو وجود هش قابل لأن يزول اذا ما تغير ميزان القوى في العالم، بل اذا ما تغير ميزان القوى في المنطقة نفسها. فالاسرائيلي لا يقيم في اسرائيل بقوة الحق، بل بقوة الدبابة. بل هو يقيم في الدبابة نفسها، وحالما يغادر هذه الدبابة فلن يجد امامه من وسائل سوى وسيلة واحدة هي الحقيبة. ولعل مستقبله يتمثل في هذه الحقيبة بالذات، استناداً الى ارث الماضي. فكما كانت وطنه عبر العصور، يفترض ان تعود وطنه من جديد. وقد كانت الانتفاضة الفلسطينية الاخيرة مدخلاً الى هجرة يهودية من اسرائيل هذه المرة الى الخارج. فاليهودي يعرف في قرارة نفسه ان «ملكيته» لأرض اسرائيل ملكية تشوبها شوائب كثيرة، ومن حقه ان يطرح على نفسه هذا السؤال: بأي حق يقيم الفلسطيني في مخيمات داخل فلسطين، في حين يحق لاسرائيل ان تدعو اليهودي البولوني والارجنتيني والفرنسي والروسي للعودة والاقامة في ارض هي في الأساس ارض فلسطينية؟

عبر التاريخ تماهى اليهودي مع الحقيبة حتى بات من لزومياته، بل حتى اصبحت وطنه. يقيم في بلد لبعض الوقت، ليغادره الى بلد آخر لاحقاً. ولا يعترف لأي بلد اقام فيه باي فضل عليه. ان اكثر من نصف التراث الثقافي اليهودي مكتوب باللغة العربية وفي بلاد عربية، ومع ذلك فإن اليهودي لم يضمر للعربي عبر التاريخ سوى الحقد والكراهية والرغبة في الانتقام. لم ينعم اليهودي عبر التاريخ بالامان الذي افتقده لدى الشعوب الاخرى، إلا لدى العرب والمسلمين. ومع ذلك فهو لا ينظر اليهم إلا على انهم عدوه الأول.

منذ فجر التاريخ لم يكن لليهود وطن بالمعنى المعروف للكلمة. وعندما نزلوا في فلسطين، في لحظة من لحظات تاريخها القديم، كانت فلسطين عامرة بالفلسطينيين. ورغم الجهود الجبارة التي بذلها الآثاريون الاسرائيليون للتفتيش عن معالم ونقوش وآثار يهودية قومية في «ارض الميعاد» فإنهم لم يعثروا على اثر توراتي واحد. لقد بذلوا جهوداً مضنية للتفتيش عن هيكل سليمان قرب حائط المبكى، وتحته، فأعياهم البحث. وحائط المبكى نفسه هو حائط البراق المعروف في التراث الروحي الاسلامي. وكل هذا يدل على ان وجودهم القديم فوق ارض فلسطين، ان ثبت، انما كان وجود لحظة لا اكثر ولا أقل. والواقع ان هذا الوجود اليهودي السياسي القديم في فلسطين هو عبارة عن فرضية لم تثبت. ويبدو ان حكايات التوراة عن مملكة داود وسليمان ورحبعام، وهي امجد لحظات التاريخ اليهودي بنظرهم، هي حكايات مبالغ فيها، ان لم تكن حكايات من محض الخيال كتبها في ازمنة لاحقة مثقفون يهود نبهاء بحثوا عن وطن فلم يجدوه، فأورثوا ابناءهم واحفادهم احلاماً عن الوطن لعلها تتحقق في الآتي من الايام.

ما من اثر توراتي واحد عثر عليه علماء الآثار اليهود او غير اليهود في فلسطين وهذا يدل على مدى الافك الذي يدعونه، وعلى مدى الظلم الذي لحق بالفلسطينيين «ابناء البلاد الاصليين»، على حد تعبير نائبة «مرتس» في الكنيست الاسرائيلي. ولكن، نتيجة لتزييف التاريخ القديم للمنطقة على ايدي الباحثين التوراتيين، جرى الحديث عن «مملكة اسرائيلية عظمى» حكمها داود ثم سليمان في فلسطين حوالي سنة ١٢٠٠ قبل المسيح، وهي فترة الانتقال في العصر البرونزي المتأخر واوائل العصر الحديدي. ولكن المؤرخين المعاصرين غير المرتبطين بالصهيونية، يبينون ان هذا مجرد وهم زائف، ويدعون الى احلال نموذج آخر محله، موضحين ان اسرائيل التاريخية هذه لم تكن الا لحظة عابرة في مسيرة التاريخ الحضاري لفلسطين القديمة، وان على الباحثين الاهتمام بتاريخ فلسطين القديم كموضوع قائم بذاته، وليس كخلفية لتاريخ اسرائيل كما هو حاصل في الدراسات العلمية اليوم، تلك الدراسات التي طمست التاريخ الفلسطيني القديم ومنعته من التعبير عن نفسه.

يدعو المؤرخ الانكليزي المعاصر كيث وايتلام الى ضرورة كتابة تاريخ فلسطيني قديم من منظور فلسطيني، لأن المنظور الفلسطيني لم يركز في صراعه مع الصهيونية الا على الفترة الحديثة لاثبات هويته القومية وللحصول على دولة خاصة به. فالتاريخ القديم، في رأي وايتلام، قد تم التنازل عنه لمصلحة الغرب ودولة اسرائيل الحديثة. ولهذه الدراسة انعكاساتها القوية على التاريخ الحديث، لأنها تهدم الحجة الاساسية للصهيونية، وهي العودة الى دولة الاجداد..

لا حق لليهود في فلسطين، سواء على ضوء التاريخ القديم او على ضوء التاريخ الحديث. في القديم كان الامر عبارة عن لحظة لا اكثر ولا أقل. وكان ذلك قبل اكثر من ثلاثة آلاف سنة من اليوم. وفي التاريخ الحديث لم يكن عدد اليهود في فلسطين في بداية القرن العشرين سوى اربع آلاف نسمة لا غير. وقد وفد الباقون تباعاً، وبخاصة بعد وعد بلفور عام ١٩١٧ ومع كل قادم منهم حقيبته. والحقيبة التي بامكانها ان تأتي الى فلسطين، بامكانها ان تغادرها في وقت لاحق. والوطن عندما يكون عبارة عن دبابة، او خرافة، لا يمكن ان يسمى وطناً، وتظل الحقيبة افضل منه!

شحن إلى جميع المناطق اللبنانية
بأسعار خاصة جداً
وشحن سيارات سياحية
ذهاباً وإياباً بأسعار مغرية جداً
مؤسسة عبد العزيز عثمان الحصان التجارية
شحنات كاملة ومجزأة
الرياض ت: ٢٣٢٠٢٤٩/ ٢٣٢٢٣٠٦ جوال: ٠٥٥٨٢٨٨٠٥
الخبر: هاتف ٠٣/٨٦٥٧٢٥٨ جوال: ٠٥٥٢٩٠٩٣٥
وكيلنا في بيروت شركة القبيسي للتجارة
هاتف: ٦٤٢٨٢٩ / ٦٤٢٨٤٩ / ٦٤٣٥٩٠ فاكس: ٦٤٠١٨٥

للبيع
أطقم كنب منزلية
جديدة وفاخرة
سعر الطقم (١٤٠٠ ريال)
٤٣٥٥٤٥٢

للبيع
عمارة للبيع
جنوب شارع الخزان - شمالية غربية
تتكون من ٤ شقق و ملحق ،عمرها ٧ سنوات
دخلها السنوي ٤٠,٠٠٠ ريالاً
للمفاهمة - مكتب الجبليز العقاري ت / ٤٠٢٧٥٦٨ أبو مشاري

يوجد خادمات للتنازل
٢٨٣٠١٠٤ - ٢٨٣٠١٠٦
٠٥٣٤٧٤٥١٩
ومطلوب خادمات للتنازل

مطلوب
خادمات للتنازل
٢٩١٦٧٩٤ -